

المفارقة في شعر ابن زيدون الأندلسي

د. منير عبيد نجم

كلية التربية الأساسية / جامعة بابل

The Paradox in the Poetry of Ibn Zaydun Al-Andalus

Dr.. Munir Obaid Najm

College of Basic Education / University of Babylon

Abstract

Paradox is a literary practice that has a long history that extends back to the early ages of literature.

Hence, we will stand on some of its definitions and limits, in a manner appropriate to the nature of our research and the way in which we will address the concept of paradox in Ibn Zaydun's poetry.

المخلص

تعد المفارقة ممارسة ادبية تملك تاريخا طويلا يمتد الى عصور الادب الاولى فهي تستعصي على التعريف الواحد الذي يجمع مفاهيم الادباء والنقاد لها او يضم كل أنواعها ودرجاتها ناهيك عن اساليبها واثرها في العمل الأدبي . ومن هنا سنقف على بعض تعريفها وحدودها بما يناسب وطبيعة بحثنا هذا والطريقة التي سنتناول فيها مفهوم المفارقة في شعر ابن زيدون .

المفارقة في اللغة:

جاء في لسان العرب :. فارق الشيء مفارقةً وفراقاً :. باينه⁽¹⁾، فالمفارقة في اللغة تعني التفريق والمباينة ولم ترد اللفظة في القرآن الكريم بهذه الصفة والمعنى

المفارقة في الاصطلاح :

المفارقة من المصطلحات النقدية التي كثر الجدل بشأنها قديما وحديثا كونها شملت جوانب عديدة وجديدة وقد اختلفت تعريفاتها باختلاف الدارسين وكيفية فهمهم لها وطبيعة النتائج الشعري المدروس وما يفرضه على الدارس من اشتراطات علمية.

1. المفارقة عند العرب القدماء :

في الحقيقة أن المفارقة لم تكن موجودة في تراثنا بصفه مصطلح متعارف عليه له اسسه وقواعده كما عند الغرب الا ان هناك الكثير من المصطلحات النقدية والبلاغية التي اقترنت من مفهوم المفارقة منها : الطباق ، التورية، التهكم ، المدح بما يشبه الذم وغيرها ويعلق د. ناصر شبانه بشأن وجود المفارقة مصطلحا في التراث العربي او عدمه بقوله "سواء كان هذا المصطلح موجود ام غير موجود فان الامر سيان اذ ليس الامر منوطا بوجوده ام عدمه ان المعول على ما اذا كان المفهوم او النوع البلاغي الذي تشير اليه المفارقة بمفهومها الحديث موجودا بالتراث ام لا"⁽²⁾، فهو يرى ان البحث عن روح المفارقة اجدى من البحث عن ثوب قد يتغير بين حين واخر

مفهوم المفارقة عند النقاد الغرب:

تجاذبت العديد من الدراسات المفارقة بوصفها مفهوما من المفاهيم المعرفية التي تتنازعها حقول مختلفة (فلسفيه واجتماعية وأدبية) غير ان المفارقة ترجع في ظهورها الأول عند الغربيين الى الفظه اليونانية (eironeia) وقد جاء بها افلاطون في جمهوريته واطلقها سقراط على احد ضحاياه⁽³⁾.

وقد نشأت المفارقة أصلاً غربياً يكتنفه الغموض وعدم التحديد والانفتاح على أكثر من مفهوم ويعد (ميويوك) أبرز من نظر لمفهوم المفارقة من المعاصرين والذي يرى ان المفارقة لم تعد تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة كما انها لا تعني في قطر بعينه كل ما يمكن ان تعنيه في قطر اخر ولا تعني في الشارع كل ما تعنيه في قاعة الدرس ولا عند باحث كما تعنيه عند باحث اخر (4)، وقد حاول تبسيط تعريفها واختصاره فذهب الى ان المفارقة هو فن قول شيء دون قوله حقيقة (5)، أي اننا في المفارقة نتوصل الى فهم المعنى المقصود ليس من خلال ما يدل عليه لفظاً بل بما يكمن في اللفظ الذي قيل من معنى لم يدل عليه القول . ويرى الناقد الالماني اوجست شليجل ان المفارقة شكل من اشكال النقيضة (6)، وقد اكد الناقد المعروف ريتشاردز على هذا الجوهر النقيض عندما كان يناقش موضوع الخيال في كتابه مبادئ النقد الادبي (7).

المفارقة عند النقاد العرب المحدثين :

عرف النقاد العرب في العصر الحديث المفارقة متأثرين بما جاء في الغرب من رؤى ودراسات والمنتجع لآراء النقاد العرب المحدثين يجدهم يتفقون على حقيقة مفادها ان التناقض هو شرط المفارقة الرئيس والدعامة التي ترتكز عليها في الاعم الاغلب (8) ، فمن البدهي ان للعمل الادبي مستويين في التعبير المستوى السطحي للكلام والمستوى العميق الذي يكتشفه القارئ في النص الادبي عبر منبه اسلوبي يثيره الاديب يتمثل بأسلوب المغايرة ويعني عكس الدلالة والذي يعبر عنه الدكتور محمد العبد بالتضاد الذي يستطيع القارئ او المخاطب الوصول اليه واكتشافه بواسطة السياق الذي يتطلب الخبرة من المتلقي (9)، مؤكداً كلامه بقول ريتشاردز في حده للمفارقة بوصفها تمثل توازن الاضداد (10) ، فالمعنى الذي يساق في المفارقة يراد منه ان يكتشف من قبل القارئ كون المفارقة على حد تعبير د. نبيلة ابراهيم هي "لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين الكاتب والقارئ" (11) فلكاتب او صانع المفارقة يحمل النص بل مفارقة تاركا وراءه وسيلة الاتصال للقارئ الذي يكتشف المفارقة اعتماداً على خبرته في قراءة النص وهو ما أكده ايضا د. عبد الهادي خضير ان المفارقة "هي استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهر المتناقض للعبارة والوصول الى المعاني الخفية" (12) وصفوة القول في المفارقة انها شكل من اشكال القول يساق فيها معنى ما في حين يقصد منه معنى اخر غالباً ما يكون مخالفاً للمعنى السطحي الظاهر ويبقى الدور المهم للقارئ الذي يعتمد على حسه المعرفي وطبيعته فهمه وذائقته الادبية في معرفة علاقة التضاد الموجودة في عناصر العمل الادبي .

نظرة في حياة ابن زيدون الاندلسي مفارقة أحداث

هو ابو الوليد احمد بن عبدالله بن احمد بن زيدون المخزومي اصل اهله من بني مخزوم من قریش (13) ، ولد في رصافة قرطبة في بيت علم وجاه وغنى سنة (394-1003م) فبدأ تلقي العلم على ابيه وكان فقيهاً وقاضياً من اعلام المذهب المالكي (14) مشهوراً بالنباهة والعلم والادب ولما توفيه ابوه في البيرة سنة (450هـ) كلفه جده لامة القاضي أبو بكر محمد بن إبراهيم القيسي (355هـ) فاخذ عن جده هذا أيضاً شيئاً من العلم لذا زادت قريحته وتوقدت موهبته وذائقته الشعرية (15).

إن القارئ المتفحص لحياة ابن زيدون الاندلسي يجدها تنقسم على عتبتين بارزتين او بعبارة أخرى على مفارقتين تتمثل الأولى منهما بالحدث الخارجية /العامّة التي مرّ بها الشاعر في خضم الحياة ، اما العتبة الثانية فهي ذاتية /داخلية تتجسد في حبه لولادة بنت المستكفي .

اما بالنسبة للعتبة الأولى/المفارقة الأولى فقد جاءت على ثلاثة أدوار او اذا صح التعبير على مفارقات ثلاث:

المرحلة الأولى (المفارقة الأولى) حياته في بلاط بني جهور (442.422هـ)

لما اضطرب أمر بني امية في قرطبة قبل سقوط الخلافة نهائياً ، وفرّ هشام الثالث عنها سنة (422هـ) كان ابو الحزم جهور بن محمد وزير له (16)، خاف اهل قرطبة من عواقب الاضطراب والفوضى، ووجدوا في ابي الحزم بن جهور حاكماً قديراً فولوه امر المدينة ، اتصل ابن زيدون بالدولة الناشئة باكراً ووّرر لابي الحزم جهور وزارة استشارة لا وزارة عمل وكان ابو الحزم وابن زيدون صديقين من قبل ثم كانت لابن زيدون آمال سياسييه سنحت الان فرصه الوصول الى شيء منها بذلك قذفت ريح السياسة بابن زيدون في تيار الحياة العامة بما فيها من خصومة ومكائد (17) كثر حساد ابن زيدون وخصومه داخل بلاط ابن جهور وخارجه وكان اشد هؤلاء عداوة له واعظمهم اثرا الوزير أبو عامر بن عبدوس فكتب ابن زيدون رسالته الجدية وقد حاول فيها ان يحطّ من مقام ابن عبدوس في عيون ولاده بنت المستنفي التي سيأتي ذكرها فيما بعد اذ سرد فيها معايب ابن عبدوس مما جعل الأخير يلصق بابن زيدون تهم منها انه ميالا الى رد الحكم الاموي وهي تهمه كانت شائعة آن ذاك (18)، فامر أبو الحزم جهور بحبس ابن زيدون سنة (433هـ) وهنا تقع **المفارقة الأولى** في حياة ابن زيدون فبعد ان كان وزيراً اصبح اسيراً في غياهب السجن فكانت تلك الحادثة حاده في حياته تركت ابلغ الأثر في نفسه حيث جعلته يذوق مرارة الذل بعد عز السلطة وألم الشقاء بعد نعيم السعادة مما جعله يوالي القصائد الى ابي الحزم والى نفر اخرين ليشفعوا له عند ابي الحزم فلم يستطيع احد منهم ان يعطف قلب ابي الحزم عليه لذا اقترح عليه أبو الوليد بن ابي الحزم ان يهرب من سجنه فلم يقبل في اول الامر ولكنه عاد فقبل واستطاع الهرب بمساعدة أبو الوليد بن ابي الحزم (19) وقد برر ذلك بقوله ان الفرار من الظلم والهرب من سنن المرسلين اذ يقول (20)

لا عارَ لا عارَ في الفرارِ فقد فرّ نبيُّ الهدى الى الغارِ

وطاف ابن زيدون في قرطبة متخفياً ثم كتب قصيدة الى شيوخه ابي بكر بن مسلم يشكو حاله ويستشفع الى ابي الحزم يقول فيها (21)

ما على ظنّي بأسٌ ، بجرح الدهرُ ويأسو
ربما اشرف بالمر ء ، على الآمالِ ، يأسو

فنجحت الشفاعة فستعاد ابن زيدون رضى ابي الحزم وتعود المياه الى مجاريها ويسترد ابن زيدون اعتباره في بلاط آل جهور .

المرحلة الثانية (المفارقة الثانية) خلف ابو الوليد بن جهور اياه الذي توفي سنة (435هـ) فقرب ابن زيدون وتبسم الدنيا في وجه الشاعر مرة أخرى ويلتمع نجمه من جديد اذ تفيض اشعاره بمدح ابي الوليد بن جهور بإخلاص ويقابل ابن جهور هذه الاشعار بامتنان ويلقبه بندي الوزارتين ويندبه سفيرا له بينه وبين ملوك الطوائف (22)، وهنا تقع **المفارقة الثانية** فعلى نحو يكاد يكون مفاجئاً وغامضاً تحدث جفوة بين الشاعر ومليكه لعل من ابرز أسبابها ان نفرا من أصحاب ابن زيدون قاموا في قرطبة بمحاولة لإعادة دعوة الامويين فخاف ابن زيدون الرجوع الى قرطبة فذهب الى اشبيلية حيث بلاط العباديين (23).

الرحلة الثالثة (المفارقة الثالثة) تبدأ هذه المرحلة في بلاط بني عباد اذ نجد ان المعتضد بن عباد قد قرب ابن زيدون وسارت حياته في بلاط بني عباد على خير ما يرجو وحظي في مدينة اشبيلية بتقدير اعيانها وكبرائها وافاض عليه المعتضد الخلع والسوابغ والقي اليه بمقاليد وزارته وضم اليه جميع أمور دولته ورفع الكلفه بينه وبين الشاعر وحين تدرك المعتضد الوفاة يخلفه ابنه المعتمد ويتبوأ ابن زيدون في قلبه ما كان يتبؤوه في قلب ابيه بل رفعه الى الذروة من مشورته ووزارته ولما حدثت فتته العامة في قرطبة (بين المسلمين واليهود) تقع **المفارقة الثالثة** في حياة ابن زيدون

حيث ارسل المعتمد نفرا من رجال الدولة لتهدئة الخواطر وجعل فيهم ابن زيدون وكان ابن زيدون مريضا فستعفى المعتمد بن عبّاد فلم يعفاه فقبل بان قلب المعتمد تغير على ابن زيدون ولعل السبب في ذلك يعود لابن مرتين وابن عمّار الذين اوغرا صدر المعتمد على ابن زيدون⁽²⁴⁾ ونتيجة لذلك اشتد المرض على ابن زيدون من اثر تلك الحادثة حتى توفي في اشبيلية سنة (463هـ) ونقل جثمانه الى قرطبة ودفن فيها⁽²⁵⁾.

ان هذه الأدوار الثلاثة /مفارقات التي ألمت بحياة الشاعر جعلت شعره يضج بالوان عديدة من المفارقات الراضحة عن الظروف والملابسات التي مرّ بها .

العتبة الثانية (المفارقة الثانية) حبه لولادة بنت المستكفي وهي من اعظم الاحداث اثرا في حياة ابن زيدون حتى شغلت اكثر من ثلثي شعره وولادة بنت المستكفي هي واحدة من اميرات بني امية في الاندلس وجدها الثاني عبد الرحمن الناصري⁽²⁶⁾ كانت فتاة جميلة بيضاء شقراء مائه الى الصهبة كما كانت ذكية متادبة بالفنون والاداب قوية الشخصية خلاف والدها الخليفة المستكفي الذي كان رجلا جاهلا ضعيف الارادة والرأي منغمس في الهو مستهترا به ما ذكره مؤرخ بخير ولا جرت له سيره الى بشر يقول صاحب الذخيرة " لم يجلس في الامارة مده الفتنة اسقط منه ولا انقص اذ لم يزل مشتتها بالشرب والبطالة سقيم السر والعلانية اسير الشهوة..."⁽²⁷⁾

ولما قتل المستكفي سنة (416هـ) انفلتت ولاده من القيود الأخلاقية والاجتماعية وجعلت دارها منتدى لرجال الادب وانصرفت الى كثير من أسباب اللهو يقول ابن بسام كانت في نساء اهل زمانها واحدة اقربانها... كان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار مصر وفناؤها ملعب لحياد النظم والنثر⁽²⁸⁾ يتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها والى سهوله حجابها وفي هذه المدة كان ممن اختلف الى مجلسها ابن زيدون وظل مواظبا على ذلك أياما وشعر انها تؤثره على غيره فوقع في قلبه كما وقع في قلبها وقد نعم الحبيبان بايام وليالي مشهورة عند الناس صورها ابن زيدون في شعره اذ يقول⁽²⁹⁾ :

وَدَعِ الصَّبْرَ مُحِبِّ ودَعِكَ ذَائِعٌ من سرِّه ما استودعك
يقرعُ السنَّ على ان لم يكن زاد في تلك الخطا اذ شيعك
ان يطلُّ بعدك ليلي فلکم بتُّ اشكو قصرَ الليل معك

وتتكرر اللقاء في حدائق قرطبة وابتسمت الدنيا للحبيبين وراح ابن زيدون يصور سعادتهما الغامرة في اكثر من موضع في شعره⁽³⁰⁾.

غير ان هذا الحب الذي بدا باكرا ثم اشتعل باشد ما يكون من السرعة لم يعيش بصفائه ووفائه طويلا واخذ يفتر بمثل السرعة التي كان قد نشا بها وهنا تكون المفارقة في علاقة ابن زيدون بولادة التي كانت بمثابة الصدمة التي اورثت نفس ابن زيدون المعذبة جرحا بليغا وضل ينزف الما طوال حياته صبغت شعره بانواع المفارقات ان قلب ولاده قد تغير اتجاه قلب ابن زيدون وادارت له ظهر المجن ومرد ذلك الى أسباب عده نوجزها بما يأتي

1. ان ولادة كانت امرأة لعوب ذات مزاج فائر متقلب ولهذا لم تمحظ ودها كاملا أحدا من المعجبين مؤثرة في ذلك كله ان تعيش حياتها وفق مشيئتها ورغبتها متأثرة بحياة الانفلات التي عرفت بها اسرتها فقد اشتهرت ببينتين نظمتها وطرزتهما على شقي ثوبها تقول فيهما: ⁽³¹⁾

أنا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيه تيهي
أمكن عاشقي من صحنِ خدي وأعطي قبلي من يشتهيها

2. كانت لولادة جاريه سوداء حسنه الصوت بارعه العزف اسمها عتبه غنت ذات ليله وقد اعجب ابن زيدن بادائها مما دفعه الى التحمس وإعادة اللحن فتتحرك غيره المرأة المحبه وظنت بابن زيدون سوءا وانه كان يغازلها من دونها فأشئت غضبها وراحت تعاتبه بابيات تنضوي على التعالي والمرارة اذ تقول⁽³²⁾:

لو كنتَ تنصفُ في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخير
وتركتَ غصنا مثمرا بجماله وجنحتَ للغصن الذي لم يثمر
وقد علمت بانني بدر السما لكن ذهبَ لشقوتي بالمشتري

3. لقاء أبو عامر بن عبدوس بولادة بنت المستكفي الذي كان قد كلف بها يطمع بان يظفر بوجدها وقد كان رجلا قليل الذكاء واسع الثراء قليل الثقافة، فعلم ابن زيدون برغبة ابن عبدوس في الوصل بولادة فكتب رسالته الجدية وحاول ان يحط من مقام ابن عبدوس في عيون ولادة ومع ان هذه الرسالة راجت بين الادياب الذين اخذوا يتفكهون بما سرده ابن زيدون فيها من معاييب ابن عبدوس فان ولاده لم تتأثر بهذا الأسلوب الجديد واستشاطت اتجاهه غيضا وازدادت منه اعراضا فلا هي رقه للمحب القديم ولا هي فريت من المحب الجديد وغيض ابن عبدوس على أسلوب ابن زيدون هذا ونصب له المكائد واتهمه بالتواطؤ على حكومة قرطبة⁽³³⁾، ونجحت المكيدة والقي بالشاعر الانيق الاديب في السجن وبذلك انتهت علاقته بولادة مع نهاية حياته تلك العلاقة التي كانت محض مفارقات تترشح منها صور من اسي والم الفراق ، لذا يتحتم على الدارس لإسلوب المفارقة في شعر ابن زيدون ان يدرسها على محورين هما:.

أولا: المفارقة بوصفها أداة للافصاح عن العشق مع ولادة بنت المستكفي

يمكن القول أن المفارقة أسلوب ثري يتيح للشاعر /منتج النص مكنه الانتقاء بين عدد من الأدوات لتأسيس صورته الشعرية ورسم ملامحها بالدقة التي يرى الشاعر بانها قادرة على توتير اللغة للوصول الى دلالة المفارقة ، ويرى الباحث لزاما عليه ان يشير الى حقيقة مهمة عند دراسته لابن زيدون وفي سعيه للوصول الى اغراضه الشعرية فيما انه قد افرد لولادة بنت المستكفي الكثير من وقته ومنجزه الشعري ، فانه لا بد وان يكون مدركا لحقيقة كون ولادة قادرة دون المزيد من العناء على تلمس وتفهم ما يريد قوله تصريحيا او تلميحا ذلك لان المخاطبة /المعشوقة هي شاعرة أيضا وفي هذا الموضوع بالذات فان الباحث يرى ان ميل ابن زيدون الى المفارقة سواء بشكلها اللغوي او عبر الدلالات المرسله من خلال التصريح والتلميح انما يدعمه معرفته بقدرة من يخاطب على فهم مدلولات المفارقة خاصة اذا عرفنا ان المفارقة تحتاج الى كدٍ ذهني وتأمل عميق للوصول الى التعارض وكشف دلالات التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى والخفي الغامض في أعماق النص وفضاءاته البعيدة لذا ضمن ابن زيدون أسلوب المفارقة في شعره لولادة بنت المستكفي من اجل خلق التوتر الدلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء لكي يصور للمتلقي /ولادة بنت المستكفي أولا وعمامة المتلقين ثانيا عظم ما يشعر به من جراحات ومواقف متناقضة تفصح عن قصة عشقه لهذه الشاعرة .

وهذا ما نراه جليا في قوله⁽³⁴⁾:

أغائبٌ عني ، وحاضرةٌ معي !
أفي الحق ان اشقى بحبك ، او أرى
أناديك ، لما عيل صبري ، فاسمعي
حريقا بأنفاسي ، غريقا بادمعي ؟

يرى الباحث ان الشاعر وفي اكثر من موضع يراهن على إشكاليه الحضور والغياب اذ نجده تارة يصنع مواجهة عبر اللغة بين هذين المتضادين فانه يصل الى اعلى درجات المفارقة المتولدة عن المقارنة بين الحضور في الزمان والمكان وبين الغياب الذي يمثل التلاشي ، ويرى الباحث هنا ان هذا المثال عن المفارقة قد يشير الى البدايات الأولى

لاستثمار الدلالات الناتجة عن إشكالية الحضور والغياب فحضور ولادة يعني بالضرورة بالنسبة للشاعر الحياة بنعيمها ومباهجها في حين ان الغياب لا يولد الا الانفاس الحارقة والدموع المغرقة في حين نصادف في هذا الموضوع نوعا اخر من أنواع المفارقة يتشكل من قيام الشاعر - ولكي يدل على عمق تجربته الوجدانية - برسم مقابلة بين متضادين لطالما أشار اليهما الفلاسفة الا وهما الماء والنار فاذا ما ادركنا ان كل من هذين المتضادين يضمحل بوجود الاخر الا ان الشاعر وعبر أسلوب المفارقة قد جمع بينهما في معادلة جمالية تكون طرفيها من (حريق الانفاس) و(الغرق بالدمع) .

وتارة أخرى نصادف الشاعر يقول (35) :

يا قريبا ، حين ينأى ،
خاضرا ، حين يغيب !

وكأنه مدرك بحاسته الشعرية / النفسية أهمية وجدوى النقاط المعنى الذي يقود الى المفارقة عبر إلقاء الضوء على التضاد اللغوي والدلالي بين اشكاليتي الدنو والابتعاد والحضور والغياب وهو ما اشرنا اليه في الموضوع السابق ، اذ يرى الباحث ان ارتياد الشاعر للمنطق الدلالي التي ترسم ملامحه إشكالية الحضور والغياب بشكل متكرر دليل على وعي منتج النص بأهمية أسلوب المفارقة لإحداث اكبر قدر ممكن من الادهاش اللفظي ومن ثم الوصول الى لفت نظر من يوجه خطاب اليه (ولادة) والقارئ على حد سواء الى ما يريد الشاعر البوح به .

إن الدارس لمجريات علاقة العشق بين ابن زيدون وولادة بنت المستكفي والتي تمثل باتفاق الباحثين عتبة مهمة من عتبات سفر الحب العربي سيجد ان هذه العلاقة قد شهدت بعض المفارقات على المستوى الحياتي و يرى الباحث بان الشاعر ربما يكون سعى اليها لإرسال رساله الى ولادة تعيد الاستعطاف او العتب او الرغبة في زيادة التشبيب ومن تلك المفارقات سعيه الى عشق (عتبه) احدي جوارى ولادة اذ نرى الشاعر وولاه بتلك الجارية يميل بشكل كبير الى استخدام أسلوب المفارقة حيث يرى الباحث ان هذا الأسلوب الذي اختاره الشاعر هو الأقرب فعليا الى مجمل الجو العام لقصة الغزل تلك اذ يقول (36)

عاودتُ ذكرى الهوى من بعد نسيان ،
واستحدثتُ القلبُ شوقا بعد سلوان
من حُبّ جاريةٍ ، يبدو بها صنمٌ
من اللّجين ، عليه تاجُ عقيانِ

.....

.....

حتى تكون لمن أحببتُ خاتمةً ،
نسختُ ، في حُبها ، كُفرا بايمانِ

في هذا الموضوع نرى الشاعر يراهن على المعنى المتولد من احداث مقارنة لغوية بين مجموعة من المتضادات مثل (الذكر/النسيان ، الشوق / السلوان ، الكفر / الايمان) حيث نجد ابن زيدون وهو الشاعر المسلم يجرؤ على استخدام مفهوم النسخ ذي الدلالات الفقهية لإنتاج تشكيله تتسم بأعلى درجات المفارقة فقربه من عتبه الجارية ونأيه عن ولادة يمثلان بالنسبة له ما يشير الى ترك الكفر بمدلولاته العقائدية واللغوية الى الايمان الذي يكتنز بتلك الدلالات ، ويرى الباحث ان هذا المعنى على جدته يمثل جرأة في استخدام مواضع الفكر العقائدي لإيصال الرسالة الشعرية عبر أسلوب المفارقة بالغ الدقة لأنه يستند الى إشكالية تمثل في ذاتها مفارقة في تاريخ الفكر العربي وللتدليل على منطقية ما ذكره الباحث فأنا يمكن ان نتأمل في قول ابن زيدون (37):

أبئها النفسُ اليه اذهبي
فمّا لقلبي عنه من مذهبٍ
مُفصّضُ الثغرِ له نقطةٌ
من عنبرٍ في خده المذهبِ
أنساني التوبة من حبه
طلوعه شمسا من المغربِ

ففي هذا الموضوع يمكن ان نتلمس بوضوح ميل ابن زيدون الى نسج صورته الفنية في ضوء لغة شعرية ذات دلالات عقائدية فهو وان كان يراهن على المفارقة لتحصيل ما يبغي فانه ينتج تلك المفارقة عبر احداث فوضى مصطنعة في تراتبيه المشهد الطبيعي المتمثل بحتمية طلوع الشمس من مشرقها اذ ان شمس الشاعر قد تبرغ من المغرب وهو الامر الذي يفقده فرصة التوبة المشتهة والتي يشير الشاعر الى امرها في بداية هذه المقطوعة بجملة (ايتها النفس) المدعوة للذهاب الى المعشوق وهكذا يرى الباحث ان هذه المقطوعة التي تعتمد أسلوب المفارقة انما تستند الى مفردات استوحاها الشاعر من القران الكريم (ايتها النفس /التوبة /طلوع الشمس من المغرب) وفي مقطوعة هل يدفع القدر لابن زيدون يقول(38):

يا مُخجل العُصن الفينان ان خطرًا ،
يفديك مني محبًا ، شأنه عجب ،
لم يُنجني منك ما استشعرتُ من حذرٍ
ما كان حُبُّك إلا فتنة قُدرت ،
وفاضح الرِّشا الوسنان ان نظرًا
ما جئت بالذنب إلا جاء مُعتذرًا
هيهات كيدُ الهوى يستهلكُ الحذرًا
هل يستطيعُ الفتى ان يدفع القُدرا؟

إن هذه المقطوعة التي تتميز بأنثيال موسيقي رائع تمثل رغبة الشاعر في تجريب نمط اخر من أنماط المفارقة يرتكز هذه المرة على عرض صورة مدهشة امام القارئ الذي يتوجب عليه عندئذ ان يكتشف من خلال المعنى المراد ما يبغي الشاعر ايصاله ، فابن زيدون وهو يتغزل بولادة بنت المستكفي التي يخجل جمالها حتى الاغصان الياضعة يصرح بان محبوبته تجبره لحسنها ورقتها على المبادرة في الاعتذار على الرغم من كونها هي التي ارتكبت الذنب وهذه المفارقة الشفيفة كما نرى تمثل نمطا من أنماط استخدام المعاني المتبادلة بين السبك اللغوي والتتقل بين المواضع اذ نجد ان ابن زيدون قد نجح في هذا الامر كيف لا وان عشقه لمحبوبته انما هو فتنه أراد لها القدر ان تكون وهل يستطيع ان يدفع قدره بنفسه ؟

وفي مشهد استعراضى يقول ابن زيدون(39):

ولمّا التقينا للوداع غديّة ،
وقرّنت الجُرد العتاقُ ، وصفقت
بكيننا دما ، حتى كأن عُيوننا
وكنّا نُرجي الأوب ، بعد ثلاثة ،
وقد خَفقت ، في ساحةِ القصرِ ، رايًا
طُبولًا ، ولاحت للفراقِ علامات
لجري الدُموع الحُمر ، فيها جراحات
فكيف ، وقد كانت عليها زيادات !

نجد الشاعر يجهد نفسه عبر لغة تخيلية بارعة في رسم صورة وداعه لولادة بنت المستكفي حيث اتم ابن زيدون بناء مسرحه الدلالي الخاص واستجلب له كل ما يتطلبه المشهد من مؤثرات سمعية وبصرية فثمة (دموع وطبول ورايات وايب غير مؤكد) كل ذلك من اجل انتاج صورة مفارقة بالغة الحساسية تتمثل في محاولة تسويق فكرة خلاصتها ان هذا اللقاء بين الشاعر وحبيبته الذي أعد بعنايه ما هو الا بداية لفراق طويل لا امل في انقضائه ، ويرى الباحث ان ابن زيدون في هذا الموضوع انما يراهن على المفارقة التي تبدأ بها المقطوعة والمتمثلة بالقاء من اجل الفراق تبدو اكثر منطقية حينما يسترسل القارئ في تتبع ما تتضوي عليه المقطوعة الشعرية المذكورة من احداث تقود الى دلالات ظاهرة وباطنة خاصة وان الباحث يرى ان القارئ في هذه المقطوعة هو البؤرة المركزية التي قصد الشاعر توجيه الرسالة اليها .

والماتمل لشعر ابن زيدون يجده في طور ترسيخ قناعات المتلقي بجدول مفارقة لتمرير الغرض الشعري وترسيخه سواء في مجال المعنى المكشوف للعيان او في مجال المعنى الذي يجب ان يتصيده القارئ ، فانه معتد بقدره التضاد

/ التصادم / المفارقة التي تنتج عن عملية احداث التجاور المكاني بين الالفاظ غير المتسقة وهذا ما نجده جليا في قوله:

وكم أسقمت من قلبٍ صحيحٍ بسقم جفونك المرضي الصّاح
متى أخف الغرام يصفه جسمي بألسنه الصنى الخرس الفصاح

ففي هذا الشاهد نجد ابن زيدون قد انتج تجاورا بين لفظتي (المرض/الصحة) وكذلك لفظتي(الخرس /الإفصاح) وإذا ما جزمنا بقصدية ابن زيدون وهو يرسم حدود هذه المعادلة فاننا سنكون بلا شك امام نموذج واقعي لما يمكن ان تنتجه عملية الاقتراب النصي بين مفهوم العافية والعله ومفهوم الخرس والطلاقة فأنا لابد وان نكون ملزمين بتفهم غايات الشاعر المتعلقة في رغبته بتصوير علاقة غير نمطية مع ولادة بنت المستكفي اذ ان هذا العشق غير النمطي يستلزم لتصويره لغة غير نمطية يمكن ان تنتج في شكل من اشكالها انتاج شعري يجمع المتناقضات عبر أسلوب المفارقة فعيون ولادة ذات الجفون الجميلة تمرض الصحيح المتعافي كما اننا نجد الشاعر حين يحاول إخفاء غرامه فان جسمه سرعان ما ينطق بالسنة التعب والتمني العجيبة وتلك العجائبية تتيح للشاعر ان يصفها عبر أسلوب المفارقة بانها خرساء وفصيحة في الوقت نفسه ولكي يدلل الباحث على ان المفارقة تمثل دورا رئيسا في تحديد خيارات ابن زيدون وغرضه الشعري فأنا نشير الى قوله (41):

تضحك في الحب ، وابكي انا ، الله ، فيما بيننا ، حاكم
أقول لما طار عني الكرى قول معني ، قلبه هائم
يا نائما أيقظني حبه ، هب لي رقادا أيها النائم !

في هذه المقطوعة التي يسعى الشاعر فيها الى اثبات ولهه لولادة فأنا نجده هذه المرة يُسفر عن مفارقاته الشعرية بطريقة سهلة وممتعة في الوقت نفسه بعد ان كان - في مواضع سابقة- قد أسس تلك المفارقات في ظل سياقات فكرية وعقائدية وذاتية نصادفه هنا وهو يصرح عبر مخاطبته لولادة بانها كعاشقة انما تمتلئ ضحكا وتتذوق ما تستطيع من المسرات والدعة المعبر عنها بالرقاد الهائئ في حين ان نصيبه البكاء والسهاد وهذه المواجهة بين مفهومي (الضحك والبكاء والرقاد والسهاد) تؤسس لقراءتين : القراءة الأولى ذات مغزى ثقافي بدئي حيث نجد ونحن نتابع الموروث الشعري العربي بان الشاعر / العاشق باكيا ساهرا كعادته في معظم تجارب العشق عند الشعراء في حين ان المحبوبة الضاحكة الهائنة تتلذذ بذلك الامر ، اما القراءة الثانية فهي قراءة لغوية تعتمد على احداث صلة تعارضيه بين مفهومين متقاطعين تماما وهما الضحك والبكاء والسهاد والرقاد وإذا ما اتفقنا بان ابن زيدون ذا ثقافته شعرية عميقة فأنا ندرك على الفور بان أسلوب المفارقة كان هو الخيار المفضل للشاعر للوصول الى غرضه الشعري.

المفارقة بوصفها أداة للتواصل مع المحيط السياسي والاجتماعي

لعل من الأمور المهمة التي يمكن للباحث ان يتوقف عندها مليا، وهو يدرس المفارقة بوصفها اسلوبا للتصوير الشعري هو قدرة المفارقة على ان تكون أداة تتيح للشاعر عبر ارتكازها على المتضادات والغرائب بان يوصل ما يريد الى من يخاطب بطريقة اكثر واقعية وسرعة في التأثير وهذا المقصد يبدو اكثر وضوحا عندما يتعلق برغبة ابن زيدون في إيصال الرسائل الى الامراء والحكام وعلية القوم متقصدا التقرب منهم او الحصول على رضاهم ونيل عطاياهم واستعطافهم خاصة وان الشاعر قد عاش حياة مضطربة تجبره على طرق باب الولاة والحصول على رضاهم. ولعل هذا المقصد يبدو اكثر وضوحا في قول ابن زيدون مهنتا الخليفة المعتضد بحلول عيد الأضحى المبارك اذ يقول(42):

جحيمٌ لعاصيه ، يُشبّ وقوده ،
وجنةٌ عدنٍ للمطيعين تُزلفُ

فابن زيدون هنا ميال الى استرضاء الخليفة عبر ترك انطباع لديه مفاده بان الشاعر قادر وبشكل قد لا ينافسه فيه احد على تصوير طبيعة الخليفة/ الممدوح ونسج صورة عن الآلية التي يسوس بها العباد وقد اختار ابن زيدون لإتمام هذا الغرض أسلوب المفارقة بما يوفر له من إمكانات فكرية وشعرية في عين الوقت فيما ان الخليفة / الممدوح سوف يظهر عبر الصورة الشعرية بهيأتين : هيئة الناقم/ الجحيم وهيأة الراضي / المعطي لذلك يجد ابن زيدون ان أسلوب المفارقة يلبي ما يريده فيستخدم مصطلحات (الجحيم المعد للعصاة مقابل الجنة الموهوبة للطيعين) وهذا الاستخدام المثالي الذي لا يخلو من قصدية لإحداث مجاورة بين متضادات يمكن ان يسهل من مهمة الشاعر في نيل رضى الخليفة والحصول على هباته وهو المتحكم في أمور الاعباد حيث يصرح الشاعر في قوله(43) :

يُراقبُ منه اللهُ معتضدٌ ، به
يد الدَّهرِ ، يقسو في رضاهِ ويرأفُ

فالمعتضد يمثل يد الدهر التي تظهر مرة وهي تبتطش وتقسو وتظهر أخرى في ثوب الرأفة وهو المعنى الذي رأى ابن زيدون ان المفارقة عبر احداث مواجهة بين مفهومي (الرأفة والقسوة) ستكون هي الأسلوب الأكثر نجاعة في إيصال المعنى المراد .

ويرى الباحث ان المتلقي للخطاب الشعري لابد وان يكون اكثر تقاعلا مع النصوص التي تسلك الغرائبية / المفارقة كوسيلة فضلى لإنجاز ما تسعى الى قوله ولعل هذه الإشكالية لازالت سارية الى وقتنا الحالي . وللتدليل على واقعية ما ذهبنا اليه نصادف الشاعر في موضع اخر وهو يوظف أسلوب المفارقة مرة أخرى في مخاطبة المعتضد وهذه المرة كي يواسيه في ابنته التي رحلت في ريعان الشباب اذ يقول(44) :

سَرَكَ الدَّهْرُ وساءَ
فاقنْ شُكْرا وعزاءَ

حبذا هدي عروسٍ
دفنُها كان الهداء

يمكننا هنا ان نتخيل ان ابن زيدون لم يكن الوحيد الذي يرثي ابنة الخليفة في تلك الملمة بل كان بين عدد من الشعراء الذين يحاولون اغتنام هذه الفرصة لنيل رضا الخليفة وربما عطاياه عندئذ وقد وجد ابن زيدون ان لفت نظر المعتضد سوف يكون ممكنا عبر ادعائه باستخدام أسلوب المفارقة في وصف المشهد المأساوي الذي يعيشه الخليفة والذي يشبهه ابن زيدون بالدهر الذي يسيء ويسر حيث انه لا يثبت على حال اذ انه يمكن ان يكون بهيجا ونديا في وقت بعينه ولكنه يمكن ان يكون قاسيا يخطف ما نحب من بين أيدينا في آية لحظة، ويستغرق ابن زيدون في استخدام أسلوب المفارقة فيصنع صورة حزينة لابنة الخليفة وهي العروس التي لا تذهب الى مخدع زوجها بل الى القبر الذي صار بديلا عن بيت الزوجية ونرى ان هذا المعنى لا يمكن ان يتسق للشاعر الا عبر استخدام ذكي وواعي لاسلوب المفارقة سيجعل الخليفة اكثر قدرة على تلمسه وهو بلا شك يعيش ازمة نفسية ناتجة عن فقدان ما يجب .

ويرى الباحث ان قرب ابن زيدون من المعتضد وهو ما تأكده المصادر التاريخية والتي تشير الى ان الرجلين قد تعاصرا اجتماعيا وسياسيا على ما ينيف من تسعة أعوام قد منح الشاعر فرصة التعرف من قرب الى المزاج النفسي والثقافي للخليفة وهذا ما وجدناه جليا في الطريقة التي رثا فيها الشاعر ابنة المعتضد .

ونصادفه مرة أخرى في مشهد مختلف يوم أمر المعتضد ان يعارض بعض اشعاره فنجد الشاعر وهو ينجز مهمته الجديدة ميالا الى المفارقة كاسلوب للوصول الى المراد وهو ما يؤكد برأينا بمعرفة الشاعر لمزاج ممدوحه، ناهيك عن طبيعة العصر والطابع الثقافي العام السائد في تلك الحقبة والتي تحبذ السهل والممتع من القول ،فابن زيدون يقول(45) :

ويشفي وصالك قلبي العليلا

فقدت نسيم الحياة النبليلا

يُقَصِّرُ قَرْبُكَ لَيْلِي الطَّوِيلَا

وان عصفت منك ريح الصدود

نجد الشاعر هنا متقصدا لإدهاش المتلقي / الخليفة عبر ادراج (القصر والطول، الشفاء والعلة) في مشهد واحد بوصفهما ثنائيتين متضادتين ينتجان معنى المفارقة عبر تقصد طلب معنى بعينه فالقرب من الخليفة يقصر من طول ليل الشاعر حيث نرى ان المفارقة قد جعلت مفهوم القصر ينتج بالضرورة معنى يخدم مفهوم الطول ويتكرر الامر عندما يقوم الشاعر بتشكيل مفارقة تقوم على ثنائية الشفاء والعلة حيث ان ذلك القرب من الخليفة هو الوسيلة لشفاء قلب الشاعر العليل .

ويرى الباحث ان ابن زيدون مدركا تماما لدور المفارقة في شد انتباه المتلقي ليس بوصفها وسيلة ادهاش فحسب ، بل لكونها طريقة في الأداء اللغوي تتيح لمن يوجه اليه الخطاب ان يمتلك فرصة واقعية لتقليب الأمور التي يعرضها ابن زيدون على اكثر من وجه ومن ثم تلمس الدلالات والدروس التي يمكن ان توجد في كل واحد منها وهذا برأينا يفسر الى درجة كبيرة إصرار ابن زيدون على تضمين مقطوعاته وقصائده الشعرية لأكبر قدر ممكن من المفاهيم المتضادة او تلك التي ينفي بعضها بعضا حيث يمكن ان نرى هذه الأمور مطبقة على ارض الواقع في المقطوعات الشعرية موجهاة لمخاطبة عدد كبير من الحكام والامراء والوزراء والنخب الاجتماعية في محاولة منه للتقرب منهم واستعطافهم ومن بينها القصيدة التي أرسلها ابن زيدون من سجنه مخاطبا الوزير أبا حفص بن برد في محاولة منه لاستعطافه اذ يقول(46):

يجرُحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو

ءِ عَلَى الْأَمَالِ يَأْسُ

لَّ وَيُرِيدُكَ احْتِرَاسُ

ما على ظنِّي بأْسٍ

رُبَّمَا اشرف بالمر

ولقد يُنجيك اغفا

عزَّ ناسٌ ذلَّ ناسٌ

فَ سَرَاةٌ وَخَسَاسٌ

وكذا الدَّهْرُ إذا ما

وبئو الأيام اخيا

ففي هذه القصيدة يستخدم ابن زيدون بطريقة طافحة بقصدية واضحة عدة مفاهيم وتراكيب لغوية قد يرى فيها المتلقي تضادا بيناً ولكن الشاعر وهو يعمل في مختبره الشعري يدرك انها تراكيب اسلوبية يمكن ان تعينه في الوصول الى الهدف وهو التأثير على الوزير أبا حفص بن برد كي يتوسط له عند الخليفة المعتضد حيث يستخدم (يجرح/يأسو"بمعنى المداواة"،الامل/اليأس،اغفال/احتراس،العز/الذل،سرارة/خساسة) ويتفحص بسيط لهذه المفاهيم يمكن نحدد امرين جوهريين الأول هو ذلك التضاد البين والصارخ بين كل واحد منها الى الدرجة التي تجعلنا ندرك صعوبة مهمة الشاعر في انجاز أي شكل من اشكال المقاربة بينها سواء على المستوى اللغوي او المفهومي ، اما الامر الثاني فهو تعدد تلك الاستخدامات التي تركز عليه المفارقة في قصيدة واحدة كلها تنعت الدهر وتذمه وهو ما يشير برأينا الى احداث اكبر قدر من التأثير في اقل وقت ممكن .

وفي قصيدة أخرى نجد ابن زيدون يفلح في الولوج الى عالم المعرفة من باب اخر هو باب المفارقة التي يمكن ان نسميها بمفارقة الفكرة / المعرفة حيث يقول مادحا الخليفة أبا الحزم بن جهور(47) :

ويكونُ فيه مُعاقبا ومُثيبا

يأتي رضاه مُعاديا ومُواليا

في هذا الموضوع نرى ابن زيدون وهو يشير الى ان الخليفة يرضى عن جميع الموالين والمعارضين على حد سواء وهذه مفارقة في حد ذاتها يستعين صانع الخطاب على رسم ملامحها وتدعيمها بالمقابلة اللغوية بين لفظتي (الموالي/العدو) الذين سوف يحظيان كلاهما برضى الممدوح وهو رضى لا يخلو من مفارقة فعلى الرغم ان مفهوم الرضا يشير الى الاثابة في الاعم الاغلب الا ان رضى ابن جهور قد يشتمل على (الاثابة والعقاب) وهذا برأينا من امثلة المفارقة الواضحة والتي تؤكد اهتمام ابن زيدون بجعل نصوصه ذات طبيعة قلقة تنبه المتلقي الى ما فيها من رسائل عبر أسلوب المفارقة وهذا ما نلاحظه أيضا في اعرق تجلياته في قول ابن زيدون راثيا القاضي أبا بكر بن ذكوان اذ يقول (48):

من للذّي اذا تنازع اهله فاستجهلت حُلماءهُ الجُهل؟

في هذا البيت المشحون بتوتر كبير نجد ابن زيدون وهو ينجح مرة أخرى في استغلال صورة مجتمعية بالغة التعقيد والدلالة تتمثل في سطوة الجهال وتمكنهم ليس لانهم يمتلكون المقومات المنطقية للسطوة من رفعة وحكمة وانما لإمر اخر يتعلق بقدرتهم على الحاق صفة الجهل باصحاب الحلم والحل والعقد، وهذا الامر غالبا ما تنطوي عليه المجالس في شتى العصور والازمنة حيث استطاع ابن زيدون ان يتلمس هذه المفارقة الازلية عبر استخدامه لمفهوم (الجهل/الحلم) في موضع واحد، ويرى الباحث ان الأساس الاجتماعي / النفسي / الانثروبولوجي لهذه المفارقة يمنحها قدرا كبيرا من الجدة والقدرة على مدّ من يريد ان يلقي الضوء على قدرة أصحاب العقول غير الناضجة على الوصول الى مراتب الحكماء عبر مفارقة تتسم بالأهمية والغرابة في الوقت نفسه .

ومرة أخرى يطرق ابن زيدون باب الدهر لينتج لنا مفارقة من نوع خاص تكتمل صورتها عبر وصف ذلك الدهر ذو الطابع الابدي بصفات متضادة اذ يقول (49) :-

الدَّهْرُ ان أَمْلى فصيحٌ اعجمُ يُعطي اعتباري ما جهلتُ فاعلمُ
إن الذي قدَرَ الحوادثُ قَدَرها ساوى لِدِيهِ الشَّهَدَ منها العَلْمُ

في هذا الشاهد نجد ابن زيدون يجعل الفصاحة في قبال العجمة والجهل في مقابل العلم والشهد في مقابل العلقم وذلك في باب مدح الخليفة المعتمد والتشهير باعدائه حيث يصف ابن زيدون الدهر بوحدة من الصفات التي نرى وعبر كل الشواهد الفكرية والاجتماعية التي يتبناها العقل العربي مشرقيا او اندلسيا مغربيا بانه متهم بها الا وهي عدم ثبات احواله وتذبذبه وتبدله من شأن الى اخر اذ انه ربما يكون فصيحا واعجميا في الوقت عينه كما ان العلم في بعض ابوابه كما يرينا الدهر قد يأتي من باب الجهل وتلك مفارقة ولا ريب تكتمل بصورة أخرى يطرقها ابن زيدون الا وهي ان حوادث الدهر في بعض مسالكها قد تساوي بين العلقم المر الذي لا يحتمل والشهد الحلو المشتهى. ويتكرر الامر في قوله (50):

ألم تَعلم بان الدَّهـ رَ يُعطي بعدما يمنغ

.....

وكم ضرَّ امرأُ امرٌ توهّم انه يَنفَع

في هذين البيتين يتساءل ابن زيدون مستقهما عبر تصريحه بان الدهر نفسه في احواله المتقلبة يعطي ويمنع حتى انه يصيب الناس ببعض الخلط في المفاهيم التي يتبنونها فهم لا يفرقون بين ما يضرهم وينفعهم عبر عملية توهّم مستمرة ينسجها الدهر ليس الا حيث يجد ابن زيدون ضالته في اظهار المفارقة العجيبة التي تخنفي تحت طيات الأزمنة / الدهر فتحدث انقلابا في الموازين والبيدييات المتفق عليها .

روافد بناء أسلوب المفارقة في شعر ابن زيدون الاندلسي

يجد الدارس للننتاج الشعري عند ابن زيدون ان من اهم الروافد التي استقى منها الشاعر مادة مفارقاته الشعرية هي:

أولاً: الرافد الطبيعي

شعر الطبيعة قديم في ادبنا العربي عرفه الشعراء في الشكل الذي اوحى به بيئتهم البدوية فتأملوا الطبيعة وافتتوا بها وبثوا آلامهم واشركوها في احزانهم وهمومهم ولما كانت بلاد الاندلس بلاد ساحرة الجمال فاتتة النظر عذبة المياه مكسوة الأرض بالخضرة مزدانة الأشجار بالنضرة يقول صاحب معجم البلدان في وصفها " اما الاندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر ... تغلب عليها المياه الجارية والشجر والسعة في الأحوال " (51) لذا نجد الشعراء قد نهلوا من معينها وشغفت قلوبهم بجمالها وهامت نفوسهم بحبها حتى غدت انسا لأنفسهم وطيبا لقرانهم ومصدرا لا ينضب لشعرهم. ويعد ابن زيدون احد ابرز الشعراء الذين وظفوا الطبيعة بإشعارهم اذ اقبلوا عليها بشغف يتغزل بأوصافها ويصور مفاتها حتى غدت الطبيعة في شعره ذات رموز ودلالات تشير الى عالم اعمق يمكن تفهمه عن طريق الذات وما يترشح عنها من مفارقات لا سيما تلك التي جاءت في تصويره لعلاقته بولادة بنت المستكفي وما يكتنف تلك العلاقة من تداعيات/ مفارقات، لذا يجد الدارس المحقق ان للطبيعة حضورا بينا في اشعاره، ولعل من اهم الشواهد التي تشير لبراعة ابن زيدون في توظيف الطبيعة لانتاج مفارقات تؤكد استثنائية عشقه لولادة بنت المستكفي قوله (52):-

يامن تآلف ليئه ونهازهُ فالحسنُ بينهما مضيءٌ مظلمُ

ففي هذا البيت يرسخ ابن زيدون قناعة الباحثين ببراعته في التعامل مع المتناقضات اذ انه يتعامل مع مفهوم (التآلف) بصيغة مختلفة تماما فيستخدمه للإشارة لا لإمور منسجمة ومتألفة بطبيعتها بل لإيجاد نوع من التقارب والتوفيق بين تمثلات ذات طبائع دلالية بالغة التباين والاختلاف فالشاعر ولكي ينتج مفارقاته الخاصة يخبرنا هذه المرة - عبر الطبيعة - بأن لمعشوقته ميزة خاصة او قدرة على جمع المتناقضات فهي تمتلك القدرة على موافقته بين الليل/ الظلمة / الهجوع / السواد وبين النهار / الضوء / البياض / السعي ، حيث يقوم ابن زيدون في مناورة فكرية ولغوية مميزة ليشيد مفارقة مادتها ان ولادة بحسنا المتفرد تجمع في موضع واحد بين الضوء والظلمة ، ويرى الباحث ان البعد التشكيلي في هذا الشاهد قوي الظهور اذ ان الشاعر يبدو هذه المرة مدركا لأهمية البعد اللوني في القصيدة فيبدو وكأنه ممسك بادوات الضوء المتعارف عليها بالمشهد المسرحي ليظهر صورة ولادة عبر أسلوب المفارقة وهي تنتقل بين الضوء والظلمة بصورة فريدة من نوعها .

ويصادف الباحث في موضع اخر شاهدا شعريا متخما بالدلالات التي تستند الى إشكالية الضوء والظلمة في تبلورها اذ يقول ابن زيدون في قصيدة أرسلها الى ولادة متحسرا على ما كان بينهما اذ يقول (53):-

حالت لفقدكم أيامنا فعدتُ سوداً وكانت بكم بيضا ليايلينا

فالشاعر كما نرى . مدرك تماما لما تنتجه عملية المقاربه (المقارنة) بين نمطين من أنماط الدلالة من مفارقات وصور تشكيلية بالغة الحساسية فابن زيدون يصرح بان فقدان ولادة يحول اللون الأبيض الذي يكسو النهارات المشرقة الى محظ سواد وذلك للتدليل عبر التشكيل اللوني الصادم على معنى فقدان عبر مفارقة لغوية / دلالية تبدو استثنائية بكل المقاييس ، ولعل هذه الاستثنائية تصير اكثر ظهورا عندما يقول الشاعر بأن وصل ولادة فيما مضى كان يحول سود الليالي الى حيز متخم بالضوء الساطع وقد لاحظ الباحث ان قراءة متعمقة للموضوعين السابقين تؤكد ان ابن زيدون يبدو واعيا لما يمكن ان تنتجه عملية اظهار اللونين الأسود والأبيض او مفهومي الضوء والظلمة داخل لوحة لغوية / تشكيلية استمدت مادتها من معطيات الطبيعة واحدة من المفارقات التي قد تؤدي دراستها الى إضافة عتبة جديدة من عتبات دراسة أسلوب المفارقة والتي تتمثل في ان توظيف البعد التشكيلي يمكن ان يعين صانع النص في

صياغة مفارقات تشغل عقل المتلقي وعينه. ونرى الشاعر لا يفارق الطبيعة في تجلياتها المختلفة في سعيه لإنتاج مفارقات تبدو وسيلة للوصول الى مقاصه فاذا ما كنا قد استعرضنا استخدام البارع لإشكالية الضوء والظلمة فإننا نصادفه مرة أخرى متميزا في التداول بمفاهيم الطبيعة الأخرى لصياغة صورته الشعرية ففي قوله مادحا الخليفة أبو الوليد بن جهور نجاه وهو ينتقل لمفردة أخرى من مفردات الطبيعة وهي مفارقة مستوحاة من مشاهد الطبيعة ولوحاتها الرائعة اذ يقول(54):

للجهوريّ ابي الوليد خلّاتقٌ كالروض اضحكهُ الغمامُ الباكي

فالشاعر في هذا الموضوع يسلك مسلكا ضريفا لمدح الخليفة فيدخله متحف الطبيعة بصوره ودلالاته ومشاهده الجميلة وكل هذا سعيا وراء مفارقة مذهشة ، فالجهوري له سمات و اخلاق عالية في الجود والكرم ونكران الذات ولكن هذه الصفات يمكن ان تصل الى القارئ اذا ما سيقت إليه بزى الطبيعة الأخضر فكرم الممدوح كالحقل الفسيح يضحك عند الارتواء من دموع الغمام الباكي / مطر حيث نجد الشاعر قد نجح ببراعة تشهد له بالمزاوجة بين مفهومين متضادين الضحك/البكاء حيث يعقد بينهما صفة دلالية تتم داخل المشهد الشعري فالروض يضحك عندما تبكي الغيوم وهذا ما يشير الى ان الطبيعة يمكن ان تكون رافدا جوهريا من روافد المفارقة في ما لو استنطقها ببراعة .

ولكي يدلل الباحث مشروعية الركون الى اعتبار الطبيعة بمفرداتها المختلفة وقاموسها الخاص رافدا مهما من روافد صياغة أسلوب المفارقة عند ابن زيدون فانه يشير تكرر استخدام الشاعر لمفردات (النار/الماء،البرد/الهجير) لإنتاج صورة شعرية تخدمه غالبا في سعيه للتغزل بمعشوقته وللاشادة بممدوحيه والتقرب منهم ونيل عطاياهم فنراه يقول(55):

اكسبته الأيامُ برد هواءٍ فهو جسمٌ قد صيغَ نارا وماء

كما نجاهه يقول متغزلا بولادة(56) :

الصبُرُ شهْدٌ عندما جرعتني والنارُ برْدٌ عندما اصليتني

ففي هذين الموضوعين نرى ابن زيدون وهو يشيد صورته الشعرية على مرتكزات الطبيعة حيث يصوغ مقابلة بين متضادين هما النار والماء فاذا ما علمنا ان كل من الماء والنار ينتقي احدهما بوجود الاخر ادركنا فرادة ما يقوم به ابن زيدون اذ انه يتيح لهما الاجتماع عبر اللغة / المفارقة لوصف الدواء الذي اهداه لممدوحه الذي يتكلم بالتميز والتفرد ، وفي الموضوع الثاني يستخدم الشاعر النار/الاشتعال/الاحتراق ، الماء/الانطفاء/ الدعة لوصف ما يشعر به من حبا لولادة فنار العشق التي يشعر بها ما هي الا برد وسلام لان مصدرها محبوبته التي لا يرى فيها الاكل ما هو جميل ومتفرد حتى ان مرّ انتظارها يتحول الى شهد حلو المذاق ما دام مصدره ولادة بنت المستكفي .

ثانيا الرافد الديني:

يعد الاعتقاد الديني رافدا مهما من الروافد التي امتدت الشعراء بالخبرة اللازمة لابتداع الصور الشعرية تلك التي تكون مشتقة من القرآن الكريم لما للنص القرآني من افضلية على النص الشعري بما يتضمن من الأسلوب المميز والتعبير الدقيق فلنص القرآني ولدقة سبكه وخصوصية موسيقاه وعمق دلالاته يغري الشاعر بالركون اليه لادراكه انه سيضفي على النص قوة في التأثير ومصدقية وكثافة رمزية مركبة تتشطر الى ركنين الأول رمزية النص القرآني نفسه الذي يكتنزه النص وثانيهما ان النص الديني عندما يذكر في النص الشعري يشرب هذا النص نوعا من الألفه لما للنص الديني من القرب من نفسية المتلقي (57)، وقد اختلف الشعراء في ارتيادهم لعينون الرافد الديني ويبدو ان هذا عائد الى مدا قدرة الشاعر الى توظيف الأثر الديني وفق سياق تكتظ فيه للمحة بالمرجعية معلنة عن ميلاد رؤية جديدة حية (58).

وابن زيدون واحد من الشعراء الذين استلهموا القرآن الكريم لفظا ومعنى وقد اتخذ منه معينا يستقي منه مفردات مفارقتة الشعرية فقد عمل على توظيف النص القرآني داخل المتن الشعري بما يناسب موضوع قصيدة وقد جاء استلهامه للنص القرآني في بناء مفارقتة الشعرية على مستويات ثلاث:

المستوى الأول: المحافظة على الشكل البنائي للنص القرآني دلالة ومضمونا اذ حافظت البنية القرآنية الداخلة في مفارقتة الشعرية على دلالتها دونما تغيير ويمكن القول ان ابن زيدون قد تقصد الاعتراف من معين القرآن الكريم لتلبية شتى مقاصده ومن بينما غرضه في التودد لمعشوقته ولادة بنت المستكفي عبر تمثل أسلوب المفارقة الناتجة عن دلالات النص القرآني وهذا ما نجده في قوله (59):

ما توبتي بنصوحٍ من محبتكم لا عذب الله الا عاشقا تابا

في هذا الشاهد نجد الشاعر كان وفيًا للخطاب القرآني عبر ترسيمة شكلانية بامتياز فهو يستقي النص المقدس برسمه ومبناه على الرغم من معرفتنا بمراهنته الكاملة على ما يمكن ان يطلقه النص نفسه من دلالات تؤسس لإسلوب المفارقة وهي المفارقة التي لا تركز في الأساس على المبنى اللغوي/الشكلي بل تستمد قيمتها من عملية مفارقة المعنى فتوبة الشاعر هي توبة غير نصوح وذلك لسبب ان الله تعالى لا يتوب عن العاشقين الذين يعلنون توبتهم عن العشق وكما اشرنا سابقا فان ابن زيدون غالبا ما يميل الى الأساليب والاشتغالات اللغوية التي تصدم القارئ وتنبهه الى المعنى المراد كي ينال العطايا او الرضا فأنا نجد هذا الامر يتكرر هنا أيضا فالشاعر ولكي يحقق اكبر قدر من الادهاش فانه يستخدم النص القرآني للوصول الى الغرض المراد مع علمنا انه يستطيع فعل ذلك عبر سبيل اخر لكنه اختار قول الحق تعالى في الآية "يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبةً نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم" (60)

وهذا براينا مدعاة الى تفحص كيفية تمثل الخطاب الديني لدعم الرؤية الشعرية وهذا ما نجد ان ابن زيدون قد نجح فيه .

ويجد الباحث ان ابن زيدون يبقى منشغلا في استخدام القاموس القرآني لبلوغ ما يرمي اليه من غرض شعري فبعد ان دللنا على مقدرة الشاعر في انتاج مزيج دلالي يتميز بالغرابة والتعقيد في آن واحد يتمثل في استخدام النص القرآني في باب الغزل عبر أسلوب المفارقة فاننا نصادفه في موضع آخر وهو يرتاد هذا المجال في باب المديح اذ يقول مادحا المعتمد بن عباد(61) :

ألسنت الذي ان ضاق ذرعاً بجادثٍ تلبج منه الوجهة ، واتسع الصدر

في هذا الشاهد نجد الشاعر يركز على سبيلين من السبل القرآنية هما سبيل النص/ التركيب اللغوي بما يطلقه من دلالات ، اما السبيل الثاني فهو السبيل المعنوي والذي نقصد به ما ينشره النص القرآني من عبق الروح الايمانية والجو المشحون بأعلى درجات القدسية ، فالشاعر يطلق هذين السبيلين لإنتاج أسلوب المفارقة ، وكما اشرنا في مواضع سابقة فانه انما يسلك هذا السبيل بقصد الادهاش وسرعة التأثير واذا ما تأملنا في البيت الشعري نجد الممدوح/الخليفة انما يُضاء وجهه ويتسع صدره كناية عن التفهم وتقديم الحكمة عند التعامل مع المشاكل حيث يبدي هذه السمات عندما يضيق ذرعا بالأمر ولعل الشاعر قد وفق لما أراد عندما استثمر قوله تعالى "ولما جاءت رُسُلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عسيبٌ" (62)

فابن زيدون قد اوجد مقابلة غرائبية فيما نرى بين ضيق الصدر وانبلاج الوجه اذ ان أسلوب المفارقة الذي اعتمده يمكن ان يتيح لمتلقي النص توقع ان تكون سعة الصدر ووضاءة الوجه نتيجة للضيق والتبرم.

المستوى الثاني: عمد فيه ابن زيدون الى تكنيك اخر عبر اتكاء مفارقتة الشعرية على النص القرآني من غير المحافظة على البنية التعبيرية القرآنية فيتواصل النسان ويذوب احدهما في الاخر دون ان تختفي المعالم الدلالية للنص القرآني بشكل كامل ، اذ نجد ابن زيدون وهو يتربص في المعاني التي يمكن ان تصل الى القارئ عبر الخطاب الديني /القرآن الكريم كما في قوله(63)

ألزمتني الذنب الذي جئتُه صدقت فاصفح أيها المذنبُ

فالشاعر في هذا الموضع يصرح بانه انما يطلب الصفح والعفو من صاحب الذنب وهو معشوقته ولادة بنت المستكفي فاذا ما توافقنا على ان أسلوب المفارقة في هذا الموضع يبدو مكتمل الأركان لهذا الانقلاب في المقاصد والتوجهات حيث يصير المذنب مانحا للصفح بعد ان الزم صاحبه بذلك الذنب ، فاننا لا بد وان نشير بان الشاعر. ولكي يصل الى هذا المستوى من التأسيس الذكي لاسلوب المفارقة - فانه قد اعتمد على البعد الدلالي لمفهوم الصفح والعفو والذي يرى الباحث بانه مفهوم ذو جذور قرآنية لا محيص عنها ذكرها القرآن الكريم في قوله " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ" (64) وقوله تعالى "وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفورٌ رحيمٌ" (65) ويتكرر ذلك في قول ابن زيدون (66):

فديتك انني قد ذاب قلبي من الشكوى الى قلب جمادٍ

اذ نجد الشاعر يستثمر الدلالات الراشحة من قوله تعالى " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (67) لبناء مفارقة شعرية تصدم القارئ فمن المعروف ان ذوبان القلب يدل على لينة في حين قلب ابن زيدون ونتيجة للملابسات التي مرّ بها في عشقه لولادة قد ذاب قلبه الى جماد يماثل الحجارة في القسوة والصلادة وهي صورة ولا ريب استقاها الشاعر من القرآن الكريم.

المستوى الثالث:

وهو ما يعرف بتكنيك الإشارة و التلميح وتتجلى فيه مقدرة ابن زيدون الاندلسي على توظيف الأثر القرآني وفق سياقات تكتظ فيها المقدرة الإبداعية بالمرجعية الدينية بما يثري عمله الجديد معلنا عن ميلاد رؤية جديدة يظهر ذلك في قوله(68):

سأحِبُّ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ يَا مَنْ يُصَحِّحُ بِمُقْلَبَتِهِ وَيُسَقِّمُ

وهنا ينشئ الشاعر مفارقة من طراز خاص فهو يصرح بانه سيمنح اعداؤه الحب أي انه يرسم معادلة غريبة طرفيها نقيضين متضادين هما الحب/ العداوة الذي يقودانه سوية مع القارئ / المتلقي الخطاب الى اعلى ما يمكن ان نتخيله عن أسلوب المفارقة وتكتمل الصورة عندما يقول ابن زيدون ان عيون ولادة الجميلتين تمنحان الاحياء السقم الصحة في ان واحد ويرى الباحث ان التعمق في قراءة هذه الصورة الشعرية سيتيح لنا القول ان ابن زيدون لم يكن غريبا البتة عن أسلوب المفارقة والذي تكتمل ملامحه عنده في هذا الشاهر عبر تمثّل شفيف وشبه خفي للنص القرآني المتمثل في قوله تعالى :-(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (69) وفي هذا المستوى تبدو براعة الشاعر ومقدرته في استجداء كوامن المتلقي بحضوره الذهني في عملية رصد ظواهر الصورة الشعرية وتحليل معالمها وكشف مرجعياتها ، ذلك حين تختفي صورة قرآنية وراء صورة شعرية جسدها الشاعر في شعره كما في قوله(70) :

أرخصتني من بعد ما أغليتني وحطتنتني وأطالما أعليتني

وهي صورة استمد ابن زيدون جذورها من قوله تعالى " اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تَوْتِي الْمُلْكِ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ تَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ أَنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (71)

ثالثا الرافد الذاتي : مثلما تتدخل الثقافة والبيئة في تشكيل الصورة الشعرية عند الشاعر مستحظرا إياها لتكون منبععا يستقي منها في لحظة القول فان تفاعل الشاعر مع الاحداث التي يمر بها واستجابته لها سلبا وايجابا يؤثر في خصائص فنه ويعتبر مصدرا اخر ايمده بالصور الشعرية (72) ، ويرى الباحث ان أي دارس متعمق في السيرة الذاتية لابن زيدون الاندلسي سواء في باب عشقه لولادة او في مجال علاقته بالمحيط العام سيدرك أهمية تفحص البعد الذاتي بوصفه مولدا لكثير من الارهاصات التي كان منبعها الحياة القلقة وغير المستقرة لهذا الشاعر خاصة في مجال علاقته بولادة وهي العلاقة التي رسمت الكثير من ابعاد شخصيته حتى انه وعن طريق بث لواعجه النفسية لمعشوقته يكشف عن الكثير من اسراره الذاتية وميوله النفسية ذات البعد الاجتماعي ولكي يدلل على فريدة ولعه بولادة فانه اختار المفارقة أسلوبا لإيصال ما يريد سواء الى معشوقته او المتلقي بوصفه المتذوق لكل ما ينتجه القول الشعري من صفات جمالية ويبدو ذلك الامر جليا في قوله(73) :

أضحى التَّنائي بديلا من تَدانينا	وَنَابَ عن طيبِ لُقيانا تَجافينا
ألا! وقد جان صُبْحُ البينِ صَبَحنا	حينَ فقام بنا للحينِ ناعينا
أن الزَّمان الذي مازال يُضحكنا	أنسا بِقربهمُ قد عادَ يُكينا
غيط العِدا من تَساقينا الهوى فادعوا	بأن نغصَّ فقال الدهرُ آمينا
فانحلَّ ما كان معقودا بأنفسنا	وانبَتَّ ما كان موضولا بأيدينا
وقد نكوتُ وما يُخشى تفرقنا	فاليومَ نحنُ وما يُرجى تلاقينا

ففي هذه القصيدة نرى الشاعر قد انجز بذكاء وفطنة مهمة الولوج الى عالم الدلالة الراشحة عن المقابلة بين الاضداد حيث نجد (التنائي/التداني، اللقيا / التجافي، الضحك/البكاء، التساقي/ الغص، الحل / العقد ، القطع/ الوصل ، الفراق، التلاقي) وهو ما يمنحنا فرصة الإشارة الى امرين جوهريين أولهما ان هذه القصيدة قد تكون مثالا موضوعيا لقدرة شاعر ما على تحشيد اكبر قدر من التضادات اللغوية والدلالية في مكان واحد حيث يمكن القول ان هذه القصيدة هي نموذج حي لميل الشاعر الى استخدام المفارقة بأقصى درجاتها لتلمس معنى ما اما الامر الثاني يتمثل في ان هذه المقطوعة يمكن ان تمثل كشافا ينير الذات المنتجة للنص ويشعر في محاسبتها الى جانب الأسس النفسية والاجتماعية التي دفعت الشاعر لقول ما كان فالشاعر يرى ان الدهر قد استجاب لمن دعى ان يمسه خشن العيش وهو الامر الذي يتيح للباحث الإشارة الى حقيقة خلاصتها ان الشاعر وعلى الرغم من سطوع اشتغاله / اغراقه بالحسية من الأشياء / اللذائذ الا انه في لحظة ما يحاول تقديم جردا لمعاناته الذاتية حيث يقول: (74)

فانحلَّ ما كان معقودا بانفسنا	وانبَتَّ ما كان موضولا بأيدينا
-------------------------------	--------------------------------

ففي هذا البيت يشير الشاعر بشكل ضمني الى مسؤوليته الشخصية في ما حدث له مع ولادة والذي يعد بحق مفارقة مكتملة الأركان فالتنائي والبعد صار بديلا للتقارب كما ان التجافي قد حل محل التلاقي الطيب والمرغوب به وفي بيت اخر قد نجح الشاعر في تأنيث صورة شعرية رائعة تتسم بنوع من الديمومية حيث انها يمكن ان تصلح للاستشهاد من قبل جميع الذين يرون ان الزمان الذي اضحكهم يوما ما هو عين الزمان الذي يمعن في إكائهم واستمطار الدموع من عيونهم فالشاعر يقر بان الزمان ومن خلال سماحه له بالدنو من معشوقته قد اضحكه كثيرا ولكن الزمان ذاته قد عاد الى ما عرف عنه من تقلب فهاهو ذا يبكي الشاعر الذي يفقد محبوبته ولعل هذا التقلب والميل الى المفارقة ليس امرا مقصورا على الزمان بل اننا نجد الشاعر نفسه من خلال ازمته النفسية ميالا الى شكل من اشكال المفارقة الضمنية التي يشير اليها قوله(75):

حين فقام بنا للحين ناعينا

ألا ! وقد حان صُبح البين صَبَحنا

فالشاعر وهو يقدم اعترافا ذاتيا عن عشق مقصود نراه يستخدم الإشارة الى الموت بطريقة لا تخلو من مفارقة عجيبة فهو يتحدث عن الصبح بدلالاته التي تشير الى الولادة والنور ويقرنه بالموت بما يعنيه من معاني الحزن والفرق والظلمة فيستخدم عبارة (صبح البين) الذي يطل على الشاعر فيستجيب له الزمان بالناعي وهو الامر الذي كما نرى استخداما متميزا لإسلوب المفارقة في صورة فريدة من صورها وذلك لإنها في نهاية الامر تسدل ستارا على رحلة عشق رأى الشاعر يوما ما ان لا خشية من غيوم الفرقاء عليها ولكنه يفاجئ في زمن اخر بان لا رجاء يمكن ان يمضي النفس بلقاء اخر بعد ان كان الفرقاء والبعد هو ما يتسم به المشهد الأخير من علاقته بولادة بنت المستكفي ونجده في موضع اخر متشكيا من قسوة ولادة معه اذ يقول: (76)

أجدُ ومن أهوأة في الحُبِّ عابثُ
حبيبُ نأى عني مع الثُربِ والأسى
وأوفي له بالعهدِ اذ هو ناكثُ
مُقيمٌ له في مُضمرِ القلبِ ماكِثُ

في هذا الموضع يقدم ابن زيدون جردا/ كشافا بالغ الوضوح لذاته فهو عبر أسلوب المفارقة المتولدة من المقابلة بين مفهومي الجد واللعب والوفاء والنكوث النأي والقرب يشير الى ان معشوقته تقابل كل ما يبديه من جدية واتزان بالكثير من العبث واللامبالاة كما انها في الوقت عينه تقابل وفاؤه بمخالفة الوعود وعدم الالتزام بها ، ويرى الباحث ان الامر الأكثر جوهرية والذي يمكن ان نتلمسه لابن زيدون هو ان الشاعر قد شيد مقصده الشعري على مرتكزات ذات طابع ذاتي محظ والمتمثلة في انه كشخص يتميز بالجدية والوفاء وهنا يتولد أسلوب المفارقة الذي سبق وان اشرنا الى انه ينتج عن المقابلة بين المتضادات فانه هنا يصبح وسيلة لتكريس ذات العاشق/ الجادة في مقابل ذات العاشقة / العابثة ونرى ان هذا استخدام موفق للذات بوصفه رافدا من روافد بناء أسلوب المفارقة ونصادف في موضع اخر استخداما بارعا لكنه الذات بوصفه موردا لبناء مفارقة شعرية ذات دلالات عميقة فابن زيدون وفي محاسبة قاسية للذات يكشف عن عمق ما يعاني وهو يبدي عشقه لولادة اذ يقول (77):

كَمْ ذا أريد وما أريدُ
أصفى الودادِ مُدَلِّلا
يا سُوء ما لقي الفؤادُ
لم يصفُ لي منه الودادُ

فالشاعر وفي تجلٍ غريب يصنع مواجهة فارقة داخل ذاته بين ان (يريد) وبين ان (لا يريد) وهو يكشف عن سوء وقتامة ما لقي قلبه وهو يعالج اطوار الهوى مع ولادة بنت المستكفي حيث ان المواجهة بين مفهومي الإرادة وعدمها كمتضادين بالغي الحسم في تضادهما تقودنا الى التعرف على قدرة الذات بشطريها الإيجابي والسلبى ، الكينونة وعدم الكينونة على انتاج أسلوب المفارقة وهي التي يطرقها ابن زيدون في هذا الشاهد لكي يعبر عن التوتر العميق الذي أصابه نتيجة لثمن ولادة من ان تكون عاشقة تستجيب لما يريد معشوقها.

وفي مثال اخر يصادف الباحث أنموذجا فريدا بالغ البساطة والتعقيد في الوقت نفسه للتدليل على ثراء المورد الذاتي وقدرته على اسعاف الشاعر / صانع النص لخلق مفارقة شعرية بالغة العمق والدلالة تشير بوضوح الى قضيتين الأولى قلق الشاعر وتوتره والثاني عمق هيامه بولادة بنت المستكفي اذ يقول (78):

متى أبُثُّك ما بي
متى يثُوبُ لِساني
يا راحتي وعذابي
في شرحه عن كتابي

هنا يقيم الشاعر مواجهة بين امرين ذاتيين اصلهما في عمق كينونته الذاتية وهما الراحة والعذاب واذا ما عرفنا ان كلا المفهومين ذي جذور نفسية ضاربة في أعماق النفس الإنسانية فان هذا الامر يجيز لنا القول ان الذات بوصفها تجسيد للملامح النفسية يمكن ان تكون مولدا للفكر والصور الشعرية والتي تكتسي هنا بأسلوب المفارقة وهو الأسلوب

الذي يرى الباحث بانه الوسيلة الوحيدة المتاحة امام الشاعر لكي يعبر عما يشعر به من رغبة في بث ما في لواعجه واطلاع محبوبته على ما في داخله من حزن والم .

الهوامش

1. ينظر :لسان العرب :مادة (فرق) :299/10
2. المفارقة في الشعر العربي : 29
3. ينظر :المفارقة وصفاتها (موسوعة المصطلح النقدي) :27
4. ينظر : المصدر نفسه :29
5. ينظر : المصدر نفسه :29
6. ينظر : نظرية المفارقة :57
7. ينظر : المصدر نفسه:57
8. ينظر :المفارقة في شعر أبو نواس (رسالة ماجستير): 14
9. ينظر :المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة :15
10. ينظر :نظرية المفارقة :56
11. مفهوم المفارقة (مجلة فصول) :132
12. المفارقة في شعر المتنبي (مجلة كلية التربية للبنات) :2
13. ينظر : وفيات الاعيان :139/1، المغرب :63/1
14. ينظر :ملاحم الشعر الاندلسي :133
15. ينظر : ابن زيدون ، عصره وحياته وادبه :64
16. ينظر :البيان المغرب :185/3
17. ينظر : تاريخ الادب العربي (عصر ملوك الطوائف) :4/592
18. ينظر :الادب الاندلسي التطور والتجديد :489
19. ينظر :تاريخ الادب العربي (عصر ملوك الطوائف) :4/593
20. الديوان :265
21. المصدر نفسه :18
22. ينظر :ملاحم الشعر الاندلسي :134
23. ينظر : المصدر نفسه :134.135
24. ينظر : تاريخ الادب العربي (عصر ملوك الطوائف) :4/593
25. ينظر :وفيات الاعيان :139/1
26. ينظر : الذخيرة :387/1
27. ينظر :المصدر نفسه:380/1
28. ينظر : ملاحم الشعر الاندلسي :136
29. الديوان :94
30. المصدر نفسه :46، 57
31. الذخيرة:380/1
32. المصدر نفسه:279/1
33. ينظر :تاريخ الادب العربي (عصر ملوك الطوائف) :4/591
34. الديوان :62
35. المصدر نفسه:65
36. المصدر نفسه: 56
37. المصدر نفسه: 283

38. المصدر نفسه: 25
39. المصدر نفسه: 258
40. المصدر نفسه: 190
41. المصدر نفسه: 23
42. المصدر نفسه: 105
43. المصدر نفسه: 106
44. المصدر نفسه: 134-135
45. المصدر نفسه: 247
46. المصدر نفسه: 81
47. المصدر نفسه: 132
48. المصدر نفسه: 188
49. المصدر نفسه: 273
50. المصدر نفسه: 256
51. معجم البلدان: 1/ 262
52. الديوان: 62
53. الديوان: 10
54. المصدر نفسه: 98
55. المصدر نفسه: 281
56. المصدر نفسه: 66
57. ينظر: الرمز ودلالاته في شعر المرأة الاندلسية: 15
58. ينظر: أبو تمار حياته خلال شعره: 11
59. الديوان: 77
60. سورة التحريم: 8
61. الديوان: 18
62. هور: اية 77
63. الديوان: 53
64. سورة: الحجر: 85
65. سورة: التغابن: 14
66. الديوان: 24
67. سورة البقرة: 74
68. الديوان: 62
69. سورة: فصلت: 34
70. الديوان: 66
71. سورة: آل عمران: 26
72. ينظر: الأسس النفسية لاسا لبيب البلاغة العربية: 247
73. الديوان: 9
74. المصدر نفسه: 9
75. المصدر نفسه: 9
76. المصدر نفسه: 73
77. المصدر نفسه: 51
78. المصدر نفسه: 50

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- ابن زيدون عصره وحياته وادبه ، عبد العظيم علي ، مطبعة الشروق ، ط1 ، القاهرة : 1967
- 2- أبو تمام حياته من خلال شعره ، نجيب بهيتي ، دار الفكر ، مكتبة الخانجي : 1970
- 3- الادب الاندلسي التطور والتجديد ، د. عبد المنعم الخفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت
- 4- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د.مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط1، :1984
- 5- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي (695ت) ، تح كولان وريفنسال دار الثقافة ، بيروت (د.ت)
- 6- تاريخ الادب العربي الى آخر ملوك الطوائف ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، ط1، بيروت /1983.
- 7- ديوان ابن زيدون ، شرح وتحقيق كرم البستاني ، دار صادر بيروت ، ط3: 2007
- 8- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، مطبعة الاهرامات ، القاهرة : 1945م.
- 9- لسان العرب ، ابن منظور ، اعداد وتصنيف يوسف الخياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب الثقافي ، بيروت 1991م.
- 10- معجم البلدان ، شهاب الدين ياقوت الحموي ، صححه محمد امين الخانجي مطبعة السعادة بمصر ، 1916م.
- 11- المفارقة في شعر ابي نواس ، كرار عبد الإله الابراهيمى ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة المتنى : 2017م.
- 12- المفارقة في الشعر العربي الحديث ، د. ناصر شبانه ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط1 ، 2007م.
- 13- المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة ، د. محمد العبد ، مكتبة الاداب ، مصر القاهرة ، ط2: 2006م
- 14- المفارقة وصفاتها (موسوعة المصطلح النقدي) : دي سي ميويك ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، دار المامون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط2، 1987م.
- 15- ملامح الشعر الاندلسي ، د. عمر الدقاق ، منشورات دار الشروق ، بيروت ، 1984م.
- 16- وفيات الاعيان الابن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ، ط 3: 1948

المجلات

- 1- الرمز ودلالته في شعر المرأة الاندلسية ، د. منير عبيد نجم مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بابل ، ع 17 ، 2016 ،
- 2- المفارقة في شعر المتنبى ، عبد الهادي خضير ، مجلة كلية التربية بنات / العدد (11) 2000م.
- 3- مفهوم المفارقة ، مجلة فصول : مج 7 العدد 4 1987م.
- 4- نظرية المفارقة خالد سليمان : مجلد 9 العدد 2 جامعة اليرموك / 1991م.

Sources and references**The Holy Quran**

- 1- Ibn Zaydun, his age, life and literature, Abdel Azim Ali, Al-Shorouk Press, 1st ed., Cairo: 1967
- 2- Abu Tammam His Life through His Poetry, Najib Bahiti, Dar Al-Fikr, Al-Khanji Library: 1970

- 3- Andalusian literature, development and renewal, d. Abdel Moneim Al-Khafaji, Dar Al-Jeel, Beirut, Dr. T
 - 4- The psychological foundations of the methods of Arabic rhetoric, Dr. Majid Abdel Hamid Naji, the University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Edition 1, 1984:
 - 5- Al-Bayan Al-Maghrib in the news of Andalusia and the Maghreb, by Ibn Adhari Al-Marrakchi (695 A.D.), Tah Kulan and Revensal, House of Culture, Beirut (d. T.)
 - 6- A history of Arabic literature to the last kings of the sects, Omar Farroukh, Dar Al-Ilm for Millions, 1, Beirut, 1983.
 - 7- Diwan Ibn Zaydoun, Explanation and Investigation of Karam Al-Bustani, Dar Sader Beirut, 3rd Edition: 2007
 - 8- Al-Dhakhira in the merits of the people of the island, Ibn Bassam Al-Shantarini, Al-Ahram Press, Cairo: 1945 AD.
 - 9- Lisan Al-Arab, Ibn Manzour, prepared and classified by Youssef Al-Khayat and Nadim Maraachli, Lisan Al-Arab Cultural House, Beirut, 1991.
 2. - 10Mu'jam Al-Buldan, Shihab Al-Din Yaqout Al-Hamawi, corrected by Muhammad Amin Al-Khanji, Al-Saada Press, Egypt, 1916 AD.
 3. - 11The Paradox in the Poetry of Abi Nawas, Karrar Abd al-Ilah al-Ibrahimi, Master Thesis, College of Education for Human Sciences, University of Muthanna: 2017.
 4. 12Paradox in modern Arabic poetry, d. Nasser Shabana, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 2007 AD.
 5. - 13The Qur'anic Paradox, A Study in the Structure of Semantics, Dr. Muhammad Al-Abd, Library of Arts, Cairo, Egypt, 2nd Edition: 2006 AD
 6. - 14Paradox and its characteristics (Encyclopedia of Critical Terminology): DC Moywick, translated by Abdul Wahed Lulua, Dar Al-Mamoun for Translation and Publishing, Baghdad, 2nd Edition, 1987 AD.
 7. - 15Features of Andalusian Poetry, Dr. Omar Dakkak, Dar Al-Sharr Publications, Beirut, 1984 AD.
 8. - 16The Deaths of Notables, Son Khalkan, investigation by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Cairo, 3rd edition 1948
- magazines
- 1- The symbol and its significance in the poetry of the Andalusian woman, d. Munir Obaid Najm Journal of the College of Basic Soil, University of Babylon, No. 17, 2016
 - 2- The Paradox in the Poetry of Al-Mutanabi, Abdul Hadi Khudair, Journal of the College of Education for Girls, Issue (11) 2000 AD.
 - 3- The concept of paradox, Fosoul magazine: Volume 7, Issue 4, 1987 AD.
 - 4- Paradox Theory Khaled Suleiman: Volume 9 Number 2 Yarmouk University / 1991 AD.